يَوْمِيّات زَهْرَة

الصِّدْق



تأليف أحمد مركان و ناريمان كاراتكين

رسم توران ديرتلي

ترجمة جنان حشّاش

دار أصالة ش.م.م. - طبعة أولى 2019
ISBN: 000-000-000-000-0
تلفون: 217 833 1 961+
ص.ب.: 11/3434
www.asalapublishers.com
infos@asalapublishers.com

المحتويات:

الالْتِزامُ بِالوَعْد



لَمْ أفْهَمْ أبَدًا مَعْنى أنْ تَكونَ مَضْغوطًا مادِّيًّا. ما مَعْنى «مَضْغوطٌ مادِّيًّا»؟

الكِبارُ أيْضًا يَقولونَ نُكَتًا حَوْلَ وُجودِ جُيوبٍ عَميقَةٍ.

شَعَرْتُ بِعَدَمِ الرّاحَةِ بِسَبَبِ عَدَمِ قُدْرَتي عَلى فَهْمِ لُغَةِ الكِبارِ هَذِه.



هَذا الصَّباح، جاءَتْ أُمّي وقالَتْ لي: «حَبيبَتي،
هَلْ يُمْكِنُني اسْتِدانَةُ بَعْضَ المالِ مِنْكِ لِشِراءِ حاجِيّاتِ
الطَّبْخِ لِليَوْم؟ كانَ عَلَيَّ أنْ أُعْطِيَ بَعْضَ المالِ لِجارَتِنا،
وأصْبَحْتُ مَضْغوطَةً مادِّيًّا».

إنَّها المَرَّةُ الأولى الَّتي تَطْلُبُ فيها أُمّي أخْذَ المالِ مِنّي.
كُنْتُ أدَّخِرُ مَصْروفي اليَوْمِيَّ كُلَّه. لا بُدَّ أنَّ الجَميعَ
لاحَظوا أنَّني أمْلِكُ مالًا كَثيرًا عِنْدَما بَدَأْتُ أُثَرْثِرُ حَوْلَ هَذا
المَوْضوع.

أحْبَبْتُ حَقًّا طَريقَةَ أُمّي في طَلَبِ المال. لَوْ طَلَبَتْ مُدَّخَراتي
كُلَّها لَأعْطَيْتُها. ولَكِنَّها بَدَلًا مِنْ ذَلِك، كانَتْ تَسْألُ إنْ كانَ
بِإمْكانِها الاقْتِراضُ مِنّي. لَقَدْ أقْرَضَتْ مالَها لِشَخْصٍ آخَر،
وأنا أُريدُ أنْ أكونَ مُساهِمَةً في ذَلِكَ العَمَلِ الجَيِّد.

أتَذَكَّرُ أنَّ أُمّي اقْتَرَضَتِ المالَ مِنْ جَدّي. أعْطاها جَدّي
المالَ لَكِنَّهُ رَفَضَ أنْ يَأْخُذَهُ عِنْدَما أرادَتْ أنْ تُعيدَهُ إلَيْه،
قال: «أنا جُزْءٌ مِنْ هَذِهِ العائِلَة، ولَنْ أُكَلِّمَكِ مُجَدَّدًا إنْ
أصْرَرْتِ عَلى إعادَتِه!». حَسَنًا، أتَمَنّى لَوْ كانَ بِإمْكاني قَوْلَ
ذَلِك، ولَكِنْ مِنَ الجَميلِ أنْ تَمْلِكَ بَعْضَ المالِ الخاصِّ بِكَ.



«لا أُريدُ أنْ تُعيديهِ يا ماما»، قُلْتُ. لا أظُنُّ أنَّني كُنْتُ مُقْنِعَةً كِفايَةً، إذْ قالَت: «أنا أعْلَمُ أنَّكِ تَبْذُلينَ جُهْدًا كَيْ تَدَّخِري المال. سَأُعيدُهُ إلَيْكِ يا حَبيبَتي».

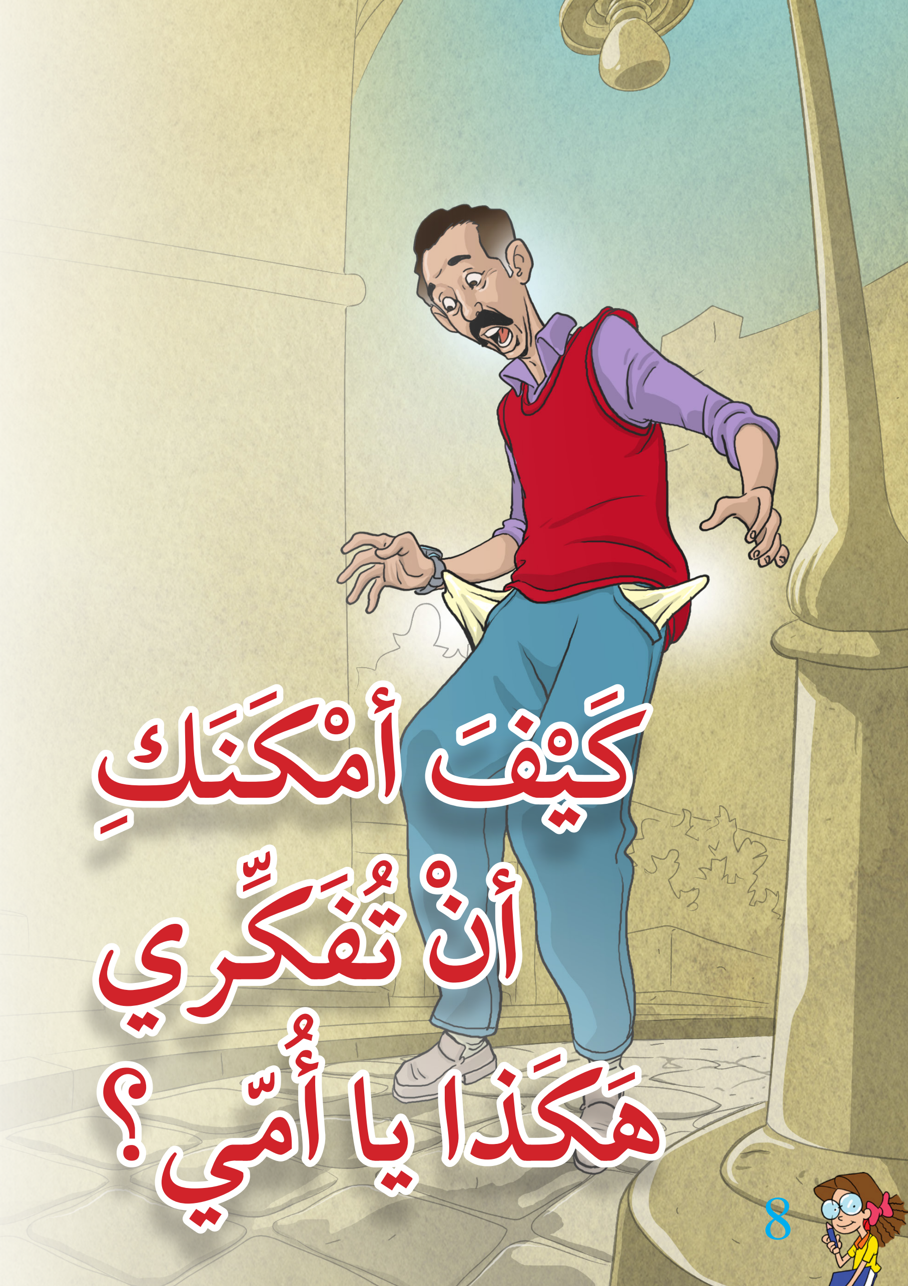
أعادَتْ إلَيَّ أُمّي المالَ في اليَوْمِ المُحَدَّد. عَلِمْتُ لاحِقًا أنَّ جارَتَنا لَمْ تَسْتَطِعْ أنْ تَدْفَعَ في الوَقْتِ المُحَدَّد. لَكِنَّ أُمّي وَفَتْ بِوَعْدِها لي.

عَلَّمَتْني هَذِهِ التَّجْرِبَةُ أنَّ إعادَةَ المالِ الَّذي تَقْتَرِضُهُ أمْرٌ مُهِمٌّ جِدًّا. هَذا يُشَجِّعُ النّاسَ عَلى مُساعَدَةِ بَعْضِهِم. إنْ لَمْ يَلْتَزِمْ أحَدٌ بِمَوْعِدِ الدَّفْعِ فَلَنْ يُقْرِضَ النّاسُ بَعْضَهُم. كُنْتُ أعْلَمُ أنَّ أُمّي مُسْتاءَةٌ بَعْضَ الشَّيْءِ مِنْ جارَتِنا لِأنَّها لَمْ تَفِ بِوَعْدِها. لَمْ تَقُلْ شَيْئًا، ولَكِنَّني كُنْتُ أشْعُرُ بِهَذا الأمْر.

أُمّي حَقًّا رائِعَةٌ!

أعْلَمُ أنَّكُم تَقولونَ الأمْرَ نَفْسَهُ عَنْ أُمَّهاتِكُم. لَمْ أقُلْ إنَّ أُمّي هِيَ الرّائِعَةُ الوَحيدَةُ في هَذا العالَم.





كَيْفَ أمْكَنَكِ
أنْ تُفَكِّري
هَكَذا يا أُمّي؟

كُنْتُ عائِدَةً مِنَ المَدْرَسَة، فَوَجَدْتُ مِحْفَظَةً عَلى جانِبِ الطَّريق. كانَ فيها أمْوالٌ كَثيرَةٌ، وقُصاصَتانِ مِنَ الوَرَق، عَرَفْتُ في ما بَعْدُ أَنَّهُما «شيكّانِ مَصْرِفِيّان»، بِطاقَةُ هُوِيَّةٍ وثَلاثُ بِطاقاتِ عَمَلٍ عائِدَةٍ إلى ثَلاثَةِ أشْخاصٍ مُخْتَلِفين.

وَصَلْتُ إلى البَيْت، وبَحَثْتُ عَنِ الاسْمِ عَبْرَ الإنْتِرْنت. هُناكَ أكْثَرُ مِنْ مِئَةِ شَخْصٍ يَحْمِلونَ الاسْمَ نَفْسَه.
فَكَّرْتُ بِبِطاقاتِ العَمَل. لَمْ تُعْطِني لا البِطاقَةُ الأولى ولا البِطاقَةُ الثّانِيَةُ أيَّ فِكْرَةٍ عَمَّنْ يَكونُ صاحِبُ المِحْفَظَة. ولَكِنَّ الثّالِثَةَ كانَ عَلَيْها رَقْمُ هاتِفٍ. اتَّصَلْتُ بِالرَّقْمِ المُدَوَّنِ عَلى البِطاقَةِ الثّالِثَة، فَأعْطوني رَقْمًا هاتِفِيًّا آخَر. ما إنْ رَفَعَ الشَّخْصُ السَّمّاعَةَ حَتّى سَألْتُه: «هَلْ أضَعْتَ شَيْئًا في الآوِنَةِ الأخيرَة؟».

«مِحْفَظَتي!»، رَدَّ الصَّوْتُ في الطَّرَفِ الآخَر بِحَماسَةٍ ظاهِرَةٍ.

سَألْتُهُ عَنِ المَبْلَغِ المَوْجودِ في المِحْفَظَةِ فَعَرَفَ الجَواب. وقَدْ ذَكَرَ أيْضًا الشّيكَّيْنِ المَصْرِفِيَّيْن.



أعْطَيْتُهُ عُنْواني، ووَضَعْتُ المِحْفَظَةَ في دُرْجي.
سَيَأْتي السَّيِّدُ «عارِف» مَساءً كَيْ يَأْخُذَ مِحْفَظَتَه.

ذَهَبْتُ إلى المَطْبَخِ لِأُحْضِرَ كوبَ ماءٍ، ولَكِنَّ أُمّي لَمْ تَدَعْني أدْخُل. كانَتْ تَتَحَدَّثُ إلى أبي عَبْرَ الهاتِف.
بَعْدَ قَليلٍ، عادَ أبي إلى البَيْت. كانَ أبي، أُمّي، جَدَّتي وجَدّي يَتَحَدَّثونَ مَعًا في غُرْفَةِ الجُلوس.
طَلَبوا إلَيَّ ألّا أدْخُلَ إلى الغُرْفَةِ وألّا أفْتَحَ البابَ لِأحَدٍ أوْ أُجيبَ عَلى الهاتِف.

سَمِعْتُ اسْمي في الهَمْسِ الَّذي كانَ يَدور.

سَمِعْتُ جَدّي يَقول: «زَهْرَة لا تَقومُ بِعَمَلٍ كَهَذا».
وفي الحال، تَفَقَّدْتُ دُرْجي؛ لَمْ تَكُنِ المِحْفَظَةُ هُناك.
طَرَقْتُ بابَ غُرْفَةِ الجُلوسِ ودَخَلْتُ وقُلْتُ لِأُمّي:
«هَلْ أخَذْتِ مِحْفَظَةً مِنْ دُرْجي؟».

نَظَروا جَميعًا إلى بَعْضِهِم، وقالَ جَدّي: «ألَمْ أقُلْ لَكُم؟».



سَألَني أبي لِماذا هَذِهِ المِحْفَظَةُ لَدَيَّ أساسًا.
أوْضَحْتُ كُلَّ شَيْءٍ. لَمْ يُعْجِبْهُمْ كَيْفَ عالَجْتُ المَوْضوع.
«زَهْرَة، كُنْتُ أبْحَثُ عَنِ المِقَصِّ فَوَجَدْتُ هَذِهِ المِحْفَظَةَ في دُرْجِكِ. صُدِمْتُ عِنْدَما شاهَدْتُها»، قالَتْ أُمّي.

تَدَخَّلَ أبي: «لِماذا لَمْ تُخْبِرينا بِالأمْرِ يا زَهْرَة؟
ماذا لَوْ حَدَثَ خَطَأٌ ما؟».

«كُنْتُ أظُنُّ أنَّ ما أقومُ بِهِ هُوَ الأمْرُ الصّائِب»، قُلْتُ.

أضافَتْ جَدَّتي: «يَجِبُ ألّا تَتَصَرَّفي كَما يَحْلو لَكِ.
أنْتِ لا تَعْرِفينَ مَنْ هُوَ هَذا الشَّخْص.
هَذِهِ المَسْألَةُ لَيْسَتْ لِلأوْلادِ الصِّغارِ كَيْ يُعالِجوها.
إنْ حَدَثَ أمْرٌ مُماثِلٌ، فلا تُحاوِلي أبَدًا أنْ تَتَصَرَّفي وَحْدَكِ.
اِلْجَئي إلى أيٍّ مِنّا. هَلْ تَعِدينَني بِهَذا؟».

كُنْتُ أعْلَمُ أنَّني سَأُعاقَبُ. ولَكِنَّني أدْرَكْتُ أنَّ هَذا الأمْرَ رُبَّما كانَ سَيَتَحَوَّلُ إلى خَطَرٍ. شَعَرْتُ بِالسّوء.



مَساءً، جاءَ السَّيِّدُ «عارِف» كَيْ يَأْخُذَ مِحْفَظَتَه، فَاسْتَقْبَلَهُ أبي. كانَ السَّيِّدُ «عارِف» قَدْ باعَ فاكِهَةً في السّوق. وأضاعَ مِحْفَظَتَهُ في أَثْناءِ تَسْليمِ صُنْدوقٍ مِنَ الخُضارِ إلى صاحِبِ دُكّانٍ.

بَعْدَ أُسْبوعٍ عَلى هَذِهِ الحادِثَة، وَصَلَ بَريدٌ بِاسْمي. ابْتَسَمَتْ أُمّي، وقالَت: «تعالي، اِفْتَحيه. إنَّني أتَساءَلُ عَمَّنْ أرْسَلَهُ إلَيْكِ؟».

كانَ في الطَّرْدِ رُزْمَةٌ مَلْفوفَةٌ بِطَريقَةٍ جَيِّدَةٍ. داخِلَ الرُّزْمَةِ كانَ هُناكَ قَلَمٌ جَميلٌ جِدًّا... وبِطاقَةٌ أيْضًا كُتِبَ عَلَيْها «شُكْرًا لَكِ عَلى المُساعَدَة. أتَمَنّى أنْ تَنالَ هَذِهِ الهَدِيَّةُ الصَّغيرَةُ إعْجابَكِ... في المَرَّةِ المُقْبِلَة، إنْ حَدَثَ مَعَكِ أمْرٌ مُماثِلٌ، الرَّجاءُ أنْ تَلْجَئي إلى أهْلِكِ أوَّلًا».

أوْمَأتْ أُمّي بِرَأْسِها مُبْتَسِمَةً، وطَلَبَتْ إلَيَّ أنْ أذْهَبَ وأبْحَثَ عَنِ المِقَصِّ الَّذي أضَعْتُهُ مُجَدَّدًا.



اِبْرِقي،
اِلْمَعي
يا نُجَيْمَة



هَلْ يُمْكِنُني أنْ أطالَها لَوْ حاوَلْتُ؟ هَلْ يُمْكِنُني أنْ أشْتَرِيَ واحِدَةً؟ هَلْ يُمْكِنُني أنْ أتَحَدَّثَ إلى واحِدَةٍ؟ هَلْ يُمْكِنُني أنْ أَلْعَبَ مَعَ واحِدَةٍ؟ كانَ الجَوابُ دائِمًا: «لا»...

لَطالَما أحْبَبْتُها كَثيرًا، إنَّها الصَّديقاتُ الأقْرَبُ إلى القَمَر. أخْبَرَتْني أُمّي أنَّني عِنْدَما كُنْتُ صَغيرَةً،
طَلَبْتُ أنْ نَذْهَب إلى نَجْمَةٍ. واجَهَ أبي وأُمّي صُعوبَةً وهُما يُحاوِلانِ إقْناعي أنَّهُ مِنْ غَيْرِ المُمْكِنِ الذَّهاب.
كُنْتُ دائِمًا أُحِبُّ أنْ يَكونَ هُناكَ نُجومٌ عَلى قُمْصاني، عَلى أغْطِيَةِ سَريري، وعَلى بيجاماتي.
حَتّى إنَّني رَسَمْتُ نُجومًا عَلى جُدْرانِ غُرْفَتي،
ولَكِنَّ أُمّي لَمْ تَكُنْ سَعيدَةً عِنْدَما رَأتْها.



تَوَقَّفْتُ عَنِ الرَّسْمِ عَلى الجُدْران. صِرْتُ أقْرَأُ عَنِ النُّجومِ وأكْتَشِفُ أسْرارَها، أقْرَأُ عَنْ مَجْموعَةِ «الدُّبُّ الأكْبَر»، مَجْموعَةِ «الدُّبُّ الأصْغَر» والنَّجْمِ القُطْبِيّ. أنْشَأْنا مَجْموعَةً في المَدْرَسَةِ سَمَّيْناها «مَجْموعَةُ مُراقَبَةِ النُّجوم».

كُنّا في حاجَةٍ إلى مِنْظارٍ جَيِّدٍ، واحِدٍ صَغيرٍ فَقَط، لَيْسَ كَتِلْكَ المَناظيرِ المَوْجودَةِ في المَراصِدِ الكَبيرَة.

أخْبَرَتْني أُمّي أنَّهُ مِنَ المُسْتَحيلِ إحْضارُ واحِدٍ.

راقَتْ لِأبي فِكْرَةُ اهْتِمامي بِالنُّجوم. ولَكِنَّ شِراءَ مِنْظارٍ كانَ أكْثَرَ مِمّا تَوَقَّعَهُ بِقَليلٍ. كانَ جَدّي أكْثَرَ تَعاطُفًا، قالَ لي: «لا يُمْكِنُني أنْ أشْتَرِيَ لَكِ مِنْظارًا يا زَهْرَة، إنَّما يُمْكِنُني أنْ آخُذَكِ إلى مَرْصَدٍ جَوِّيٍّ».

قُمْتُ بِبَعْضِ الأبْحاث، كانَ الأمْرُ واضِحًا. أنا في حاجَةٍ إلى مِنْظارٍ جَيِّدٍ، إذْ لا يُمْكِنُني أنْ أُراقِبَ النُّجومَ بِالعَيْنِ المُجَرَّدَة.

أخْبَرَتْني صَديقَتي عَنْ فَتاةٍ تَعَرَّفَتْ إلَيْها عَبْرَ الإنْتِرْنت. كانَتْ أُمّي قَدْ حَذَّرَتْني مِنَ التَّحَدُّثِ إلى أيِّ أحَدٍ عَلى الإنْتِرْنت.



ولَكِنَّني كُنْتُ سَأتَحَدَّثُ عَنِ النُّجومِ فَقَط. أيُّ خَطَرٍ يُشَكِّلُهُ هَذا الأمْرُ؟ كان اسْمُها «سيتار»، ومَعْناهُ «نَجْمَة» بِاللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ القَديمَة. كانَتْ تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ النُّجوم.

قالَتْ لي إنَّها تَرْغَبُ في مُساعَدَتي، وإنَّ رَدَّ فِعْلِ عائِلَتِها يُشْبِهُ رَدَّ فِعْلِ عائِلَتي عِنْدَما أخْبَرَتْهُمْ أنَّها تُريدُ أنْ تَشْتَرِيَ مِنْظارًا. ولَكِنَّها لَمْ تُجِبْني عِنْدَما سَألْتُها كَيْفَ حَصَلَتْ عَلى مِنْظارٍ. ثُمَّ قالَتْ لي إنَّني لا أمْلِكُ الشَّجاعَةَ الكافِيَةَ لِلقِيامِ بِما يَجِبُ عَمَلُه. كانَتْ أيْضًا تُرَدِّدُ أنَّها رائِدَةٌ في مُساعَدَةِ الأوْلاد.

بَعْدَ مُدَّةٍ، أخْبَرَتْني أنَّ المِنْظارَ أصْبَحَ جاهِزًا... كانَ هُناكَ شَيْءٌ في داخِلي يَدْفَعُني إلى إخْبارِ أُمّي، ولَكِنَّني تَجاهَلْتُ هَذا الصَّوْت.

وأخيرًا سَأحْظى بِمِنْظارٍ خاصٍّ بي، قُلْتُ: «هَيّا! أنا أثِقُ بِكِ، أخْبِريني كَيْفَ يُمْكِنُني الحُصولُ عَلَيْه». كانَتِ الرِّسالَةُ التّالِيَةُ تَقول: «اشْتَرَيْتُ المِنْظارَ مِنْ طَريقِ الإنْتَرْنت». ثُمَّ أخْبَرَتْني أنْ عَلَيَّ أنْ أعْرِفَ المَعْلوماتِ عَنْ بِطاقَةِ ائْتِمانِ والِدي كَيْ أتَمَكَّنَ مِنَ القِيامِ بِعَمَلِيَّةِ الشِّراء.





سَأدْفَعُ ثَمَنَهُ مِنْ خِلالِ تَسْديدِ دَفَعاتٍ. لَنْ يَقولَ والِدي شَيْئًا لِأنَّني سَأكونُ قَدْ أنْهَيْتُ شِراءَ المِنْظار.

«عَلَيْكِ فَقَطْ أنْ تُرْسِلي إلَيَّ مَعْلوماتٍ عَنْ بِطاقَةِ أبيكِ الائْتِمانِيَّةِ فَقَطْ لا غَيْر. وسَيُرْسَلُ المِنْظارُ إلَيْكِ في اليَوْمِ التّالي».

شَعَرْتُ بِوَميضٍ يَلْمَعُ في رَأْسي. أنْتِ تَتَعامَلينَ مَعَ الشَّخْصِ الخَطَأ. أدْرَكْتُ أنَّ الأمْرَ كانَ خِدْعَةً.

يَجِبُ ألّا تُشارِكي المَعْلوماتِ الخاصَّةَ مَعَ الغُرَباءِ أبَدًا.

كانَتْ هَذِهِ عَمَلِيَّةُ سَرِقَةٍ واضِحَةً. لَقَدْ خُدِعْتُ.

كانَ عَلَيَّ أنْ أسْمَعَ كَلامَ أُمّي وألّا أتَحَدَّثَ إلى شَخْصٍ غَريبٍ عَبْرَ الإنْتِرْنت أبَدًا. أشْعُرُ بِسوءٍ شَديدٍ حِيالَ ذَلِك.

لَمْ تَكُنْ «سيتار» نَجْمَةً، بَلْ كانَتْ لِصَّةً!

لَمْ أتَخَلَّ عَنْ حُلْمي. أنا حَقًّا أُريدُ مِنْظارًا كَبيرًا.

بَدَأْتُ أدَّخِرُ مالي

كَيْ أشْتَرِيَه.





أعْمالُ جَدّي الغَرِيبَة



دَعانا جَدّي إلى اجْتِماعٍ. سَنَجْتَمِعُ في غُرْفَةِ الجُلوسِ بَعْدَ ساعَتَيْن. لِنَرَ ما الَّذي يُخَطِّطُ لَهُ هَذِهِ المَرَّة.

رُنَّ جَرَسُ البابِ ووَصَلَ المَدْعُوّون. دَخَلَ ثَلاثَةُ إخْوَةٍ، «عُمَر» أكْبَرُهُم. الْتَقَيْتُ بِهِ لِلمَرَّةِ الأولى بَعْدَ تَخَرُّجِهِ في الجامِعَة. كانَ سَيَبْدَأُ العَمَلَ في اليَوْمِ التّالي. كانَ جَدّي يَتَّصِلُ بِهَؤلاء الإخْوَةِ الشُّبّانِ الثَّلاثَةِ ويَتَواصَلُ مَعَهُمْ بِشَكْلٍ دائِمٍ. دَعا جَدّي أيْضًا فَريقَ أصْدِقائِهِ المَشْهور.

كانوا جَميعًا عَلى تَواصُلٍ دائِمٍ مَعَ هَؤلاء الإخْوَة.

ثُمَّ الْتَقَيْتُ «فاروق». كانَ أصْغَرَ سِنًّا مِنْ «عُمَر». ما زِلْتُ أذْكُرُ عِنْدَما تَخَرَّجَ «فاروق» في الجامِعَة، اجْتَمَعَتْ هَذِهِ المَجْموعَةُ المَشْهورَةُ في مَنْزِلِنا قَبْلَ أنْ يَبْدَأَ العَمَلَ بِيَوْمٍ.

اليَوْم، سَألْتَقي «إبْراهيم». نَعَم، لَقَدْ حَزِرْتُم. لَقَدْ تَخَرَّجَ في الجامِعَةِ وسَيَبْدَأُ عَمَلًا جَديدًا غَدًا. المَجْموعَةُ المَشْهورَةُ الْتَقَتْ في مَنْزِلِنا مُجَدَّدًا. كُنْتُ أعْرِفُ أنَّ جَدّي وفَريقَهُ يُحاوِلونَ مُساعَدَةَ «إبْراهيم» كَيْ يَجِدَ عَمَلًا جَيِّدًا مُنْذُ أشْهُرٍ. ولَكِنَّ الأمْرَ الَّذي لَمْ أكُنْ أعْرِفُه، أنَّ «إبْراهيم» وَجَدَ عَمَلًا جَيِّدًا جِدًّا، وأنَّنا سَنَحْتَفِلُ بِهَذِهِ المُناسَبَةِ في هَذِهِ الأُمْسِيَة.



لا أعْرِفُ كَيْفَ فاتَني هَذا الخَبَر. حَصَلَ هَذا كُلُّهُ مِنْ دونِ عِلْمِ «زَهْرَة»!

لِماذا يَأْتي هَؤلاء الإخْوَةِ جَميعًا إلى مَنْزِلِنا قَبْلَ أنْ يَبْدَؤوا العَمَل؟ عَلَيَّ أنْ أعْرِفَ السَّبَب. سُمِحَ لي بِالسَّهَرِ حَتّى وَقْتٍ مُتَأخِّرٍ وبِتَمْضِيَةِ بَعْضِ الوَقْتِ مَعَ الضُّيوف. سَأُساعِدُ في تَقْديمِ الطَّعامِ وسَأُصْغي بِانْتِباهٍ كَيْ أعْرِفَ ما الَّذي يَتَحَدَّثُ عَنْهُ الجَميعُ في أثْناءِ العَشاء.

لِحُسْنِ الحَظّ، جاءَ جَدّي لِنَجْدَتي...
لَنْ أدَعَكُمْ تُعانونَ ما عانَيْتُه. سَأُخْبِرُكُم بِالأمْر.

أوَّلًا، عَرَفْتُ ما هُوَ سِرُّ هَذا الفَريق. الْتَقى جَدّي ورِفاقُهُ الثَّلاثَةُ والِدَ هَؤلاء الشُّبّانِ الثَّلاثَة، السَّيِّدَ «عُثْمان»، في أثْناءِ تَأْدِيَةِ الخِدْمَةِ العَسْكَرِيَّة. أصْبَحوا أصْدِقاء.



تُوُفِّيَ السَّيِّدُ «عُثْمان» بِسَبَبِ مَرَضٍ أُصيبَ بِهِ في سِنٍّ مُبْكِرَةٍ جِدًّا. وقَبْلَ أنْ يَموت، تَرَكَ رِسالَةً لِكُلِّ واحِدٍ مِنْ أبْنائِهِ وأعْطاها لِأصْدِقائِهِ كَيْ يَحْتَفِظوا بِها لِلوَقْتِ الَّذي يَبْدَؤونَ فيهِ بِالعَمَل.

عِنْدَما اسْتَلَمَ «إبْراهيم» الرِّسالَةَ الَّتي كَتَبَها لَهُ والِدُه، قَرَأَها بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ. بَكى الجَميع.

كَتَبَ السَّيِّدُ «عُثْمان» أنَّ أعْظَمَ ثَرْوَةٍ نَحْصُلُ عَلَيْها، هِيَ السَّعْيُ الجادُّ لِلكَسْبِ الشَّريف. كانَتْ هَذِهِ وَصِيَّتَهُ لِأبْنائِهِ. كَتَبَ: «فَكِّروا في المَوْضوع، مِنْ دونِ الكَسْبِ الشَّريفِ لَنْ تَحِلَّ أيُّ بَرَكَةٍ، ولَنْ تَجِدوا صَداقَةً حَقيقِيَّةً، ولَنْ يَبْقى الحُبُّ الَّذي تُكِنّونَهُ لي طاهِرًا. والأهَمُّ مِنْ ذَلِك، لَنْ تَشْعُروا بِالسَّلامِ الدّاخِلِيّ».

شَعَرْتُ كَأنَّ هَذِهِ الرِّسالَةَ قَدْ كُتِبَتْ لي. بَقيتُ أُفَكِّرُ بِما قيلَ لِوَقْتٍ طَويلٍ.



